فكاهات

بسالة الحب (١)

ما برحت الدولة الروسية طامحة بابصارها الى الاستيلآء على القارة الآسوية برها بعد ان امتلكت ما يقارب نصف مساحتها في الجهات الشمالية منها. وكانت وجد فيها هذا الميل لا تألو جهداً في درس جغرافيـة تلك القارة والبحث عن اقع السهلة لتمد فيها خطوطها الحديدية الى المراكز المهمة التي تصبو الى الحصول ا . وحدث من بضع سنوات ان ارسلت الحكومة قائداً خبيراً يدعى فورونوف دتهُ بما يلزم من المهمات والاوامر وفرضت عليهِ اجتياز سيبيريا من الغرب الى رق حتى اذا قضى هذه الرحلة يرفع الى جلالة القيصر تقريراً عما يبدو لهُ وعن لة التي يراها اسهل مالاً واوفق موقعاً لجعلها طريقاً للجنود الروسية اذا زحفت الى جهات كوريا وشمالي الصين

وكان الجنرال فورونوف في مقتبل العمر ذا بنية قوية وعزيمة ثابتة وهمة زعزعها الصعوبات فلما صدر اليـهِ امر القيصر اسرع فارصد معدات السفر ر عاصمة بلادهِ حاثاً السير في المهمة التي فوضت اليـهِ غير مبال بما دون غايتهِ العراقيل والعقبـات . وما بلغ الحـدود السيبيرية حتى هلك عدد من رجالهِ شدة البرد وتراكم الثلوج وزيادة التعب والكلال . وكثيراً ما كانت تنفصل الجليد عن قمم جبال اورال فيراها تهوي من اعلى تلك القمم تتهدده وجماعتهُ ت الزؤام ويسمع دويها وفرقعة قطعها المتكسرة فلم يكن ذلك ليثنيهُ عن مواصلة بر في تلك الارض بل لم يزد قلبهُ الا جرأةً واقداماً . ولما شعر من رجالهِ ة التعب وظن انهم لا يقدرون مثله على اقتحام تلك المسالك كان يقوم صباحاً

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

وهم نيام فيتفقد تلك النواحي حتى يرى اسهل الطرق عليهم فيعود اليهم ويقودهم فيها وهو يرسم خرائط سيرهِ ويتخذ المذكرات اللازمة لبعثتهِ

وحدث ذات يوم انهُ نهض صباحاً كعادتهِ عند انبثاق نور النهار وسار على تلك الثلوج وكان النور قد وقع على السهل المنبسط المكسو بالثلج فخيل للجنرال انهُ يرى بيوتاً امامهُ فوجه خطاه اليها وكان كلما اقترب في سيره الى تلك الجهة ابتعد ما يراه بيوتاً حتى ادرك اخيراً انهُ في خطأ وان ما يراه لم يكن الا من انعكاس النور على صفائح الجليد فرجع الى رجالهِ . وبينما هو سائر رأى بالقرب منهُ شيئاً اسود ملقى على الارض ولاحراك بهِ فظنهُ بعض الوحوش التي تكثر في تلك الاصقاع وانهُ ميت لعدم القوت او لسبب آخر واوشك ان يتجاوزه . ولكنهُ عاد فافتكر انهُ لا بأس من سلخ جلده فربما احتاج بعض رجالهِ اليهِ وللحال سدد خطواتهِ نحو ذلك الشبح فبلغهُ في دقائق قليلة . ولكنهُ زاد استغرابهُ اضعافاً حين وجد ان ما رآه لم يكن وحشاً بريّاً بل هو اشبه بشخص انسان ملتف في الفرآء الكثيفة ولحظ انهُ لم يسقط هناك من زمن طويل لان الثلج لم يطمر منهُ الا قسماً يسيراً . فوقف يفكر في كيفية وجود هذا الانسان هناك وحده وكيف وصل الى تلك الارض ثم خطر لهُ انهُ ربما كانت فيهِ بقية رمق وان رده الى الحياة متوقف على الاسراع في تداركه قبل ان يلفظ النفس الاخير وللحال دنا من ذلك الجسم وجعل يجرف بيديهِ الثلج المتجمد على جانبهِ ثم استعان بقوتهِ فرفع ذلك الدثار الغليظ ودثاراً آخر تحتهُ فبان لهُ جسم فتاة بقد رشيق وخلق بديع ووجه كاجمل ما نحت المصورون غير انهُ فاقد اللون الطبيعي وقد ابيضَّ فاصبح كلون الثلج المحيط بهِ

وكان فورونوف من اثبت الناس جناناً فانهُ طالما تلقى ظبي السيوف بصدره ودوت اصوات البنادق في اذنيهِ وهو يترنح طرباً كأنهُ في مقصف او ناد غير انهُ ما وقع نظره على وجه تلك الفتاة حتى شعر برعشة اصابتهُ وطفح الدم الى وجنتيهِ وشعر بوجل تملكه رغماً عنهُ . ثم تمالك فجثا على ركبتهِ امام تلك المسكينة واخذ بيدها كأنهُ يود ان يستطلع تلك المائتة عن حالها ثم اكب يفحص جسمها بكل دقة

واعتنآء فوجد ان ظنهُ كان في محله وانهُ لا يزال فيها بقية من الحياة • فسر جداً واخرج من جيبهِ زجاجةً افرغ منها في فم الفتاة شيئاً ثم عاد بكل قدرتهِ يفرك جسمها واستمرَّ على ذلك نحو نصف ساعة فرأى ان الدم بدأ يعود الى وجه الفتاة شيئاً فشيئاً حتى اصطبغت وجنتاها بلون الورد ثم فتحت عينيها فبانت زرقتهما وحدقت قليلاً في القائد فتبسمت ثم عادت الى سباتها

وكان فورونوف معتاداً مشاهدة مثل تلك الحوادث لكثرة اجتيازه الجهات المتجمدة وقد اكتسب خبرة كافية لمداواة من يجده في مثل تلك الحالة فلم يجزع ولم يؤخر شيئاً في استطاعتهِ الا فعله حتى عادت الفتاة الى تمام رشدها وحاولت القيام فأخذ بيدها ولما وقفت ارادت ان تشكره فقال دعي ذلك الى وقت آخر اما الآن فسيري معي واياك ان تتوقفي • ثم اخذ يجري بها وهي تجري معهُ حتى بلغا المحل الذي فيهِ رجالهُ فاستغربوا عودتهُ مع هذه الفتاة فاخبرهم بامرها • فبادر كل منهم لمساعدتها بما تحتاج اليهِ من طعام وتدفئة حتى عادت الى سابق قوتها

وتابعت تلك البعثة مسيرها وكانت الفتاة تسير بجذآء القائد فقال لها اما الآن وقد عدت الى تمام قوتك فلا مانع من سرد حديثك وكيفية وجودك وحيدة في هذه الاصقاع أفأنت من المنفيين وقد هربتِ وحاولت الرجوع الى الوطن • فقالت الفتاة وقد ارتعش جسمها عند ذكر المنفى كلا يا مولاي بل انا طليقة في وطني وقد جئت بتمام رغبتي لازج بنفسي في هذه الاماكن التي يدعوها الناس منفى وادعوها انا سجن الابرار • ورأت علامات الاستغراب على وجه الجنرال فقالت لا اشك انك تستغرب حديثي الآن ولكنك متى اطلعت على خبري توافقني على هذا القول وها انا اقص عليك الامر واقسم لك بشرفي انني لا اقول سوى الحقيقة

انني من اسرة غير دنيئة في بطرسبرج واسمي ماريا نوزوفسكي ماتت والدتي وانا صغيرة ومات والدي من مدة يسيرة وترك لي املاكاً واسعة ولم يكن لهُ سواي فلبثت وحدي في بيت والديَّ وسلمت الاملاك الى وكيل امين • وان نوافذ بيتنا تطل على حديقة فسيحة جميلة فيها جميع اصناف الورود والرياحين وهي خاصة

بجلالة القيصر ينتابها حيناً بعد آخر للنزهة ولذلك كان يوجد في تلك الحديقة عند كل منعطف جندي بسلاحهِ الكامل للحراسة والمحافظة • واتفق ان كنت يوماً في النافذة وحانت مني نظرة الى الحديقة فرأيت جندياً برتبة ملازم قد فوّضت اليهِ حراسة القسم المقابل لبيتنا • وهو فتى في شرخ الشبيبة حسن المنظر جميل الوجه قوي البنية واسع الصدر ولكنهُ كان مطرقاً بعينيهِ الى الارض وعلى وجههِ دلائل الغم والانقباض • فتأثرت جداً من مرآه ووقفت حيناً انظر اليهِ فزاد بي التأثر ولم اشعر الا ودموعي قد ترقرقت من مآقيَّ فمسحتها بمنديلي • وكان في تلك اللحظة ان رفع الجندي نظره الى جهة النافذة فرآني وكأنهُ اصابهُ ما اصابني فلم يعد يحول نظره عني • وخجلت انا من ذلك الموقف فرجعت الى داخل الغرفة وغبت فيها نحواً من ساعة كانت عليَّ اطول من سنة ثم عدت الى النافذة فوجدتهُ في مكانهِ لا يزال ناظراً الى جهتي • ولما وقع نظري عليهِ حنى رأسهُ مسلماً فلم املك ان رددت لهُ التحية واصبحنا من ذلك الحين ننتظر الموعد يومياً لنتقابل ونشاهد بعضنا بعضاً فتدرجنا من النظر الى السلام ثم الى الكلام بالاشارة واخيراً الى المكاتبة فعلمت ان الفتى مثلي لا ام لهُ ولا اب وان ما رأيتهُ فيهِ من دلائل الانكسار والحزن لم يكن الا لشعوره بكونهِ وحيداً في العالم ليس لهُ من يسأل عنهُ فما كان ذلك الا ليزيد ولعي بهِ وانعطافي اليهِ • وانتهى الامر بان اتفقنا على المحبة والولآء ووعدتهُ بان اهبهُ حياتي ما دام لي في الوجود بقية • وفي ذات يوم كان حبيبي واسمهُ جورج يخاطبني من مركزه فمرَّ رئيسهُ ورآنا فظنني من بنات الهوى وحاول ان يتخذ الحرية معي في مكالمتي فلما اظهرت لهُ الجفآء عمد الى الايقاع بي وبحبيبي ولم يلبث ان تمكن من الحصول على امر بنفيهِ الى سيبيريا ظلماً وعدواناً وقد اتهمهُ انهُ يكيد لحياة القيصر • فقادوا ذلك المسكين الى منفاه وقد اسروا معهُ قلبي وعواطفي فبقيت اياماً لا اذوق القوت ولا عمل لي سوى البكآء والنحيب حتى بلغني انهُ وصل الى منفاه وكان ذلك بالقرب من بلدة اركوتسك في سيبيريا • فما علمت ذلك حتى طارت نفسي شعاعاً وصممت للحال ان الحق بهِ فاخفف عنهُ وأوسيهِ ولا سيما وانا السبب

بجلالة القيصر ينتابها حيناً بعد آخر للنزهة ولذلك كان يوجد في تلك الحديقة عند كل منعطف جندي بسلاحهِ الكامل للحراسة والمحافظة . واتفق ان كنت يوماً في النافذة وحانت مني نظرة الى الحديقة فرأيت جندياً برتبة ملازم قد فوّضت اليهِ حراسة القسم المقابل ليتنا . وهو فتى في شرخ الشبيبة حسن المنظر جميل الوجه قوي البنية واسع الصدر ولكنهُ كان مطرقاً بعينيهِ الى الارض وعلى وجههِ دلائل الغم والانقباض . فتأثرت جداً من مرآه ووقفت حيناً انظر اليهِ فزاد بي التأثر ولم اشعر الا ودموعي قد ترقرقت من مآقيَّ فمسحتها بمنديلي . وكان في تلك اللحظة ان رفع الجندي نظره الى جهة النافذة فرآني وكأنهُ اصابهُ ما اصابني فلم يعد يحول نظره عني . وخجلت انا من ذلك الموقف فرجعت الى داخل الغرفة وغبت فيها نحواً من ساعة كانت عليَّ اطول من سنة ثم عدت الى النافذة فوجدتهُ في مكانهِ لا يزال ناظراً الى جهتي . ولما وقع نظري عليهِ حنى رأسهُ مسلماً فلم املك ان رددت لهُ التحية واصبحنا من ذلك الحين ننتظر الموعد يومياً لنتقابل ونشاهد بعضنا بعضاً فتدرجنا من النظر الى السلام ثم الى الكلام بالاشارة واخيراً الى المكاتبة فعلمت ان الفتى مثلي لا ام لهُ ولا اب وان ما رأيتهُ فيهِ من دلائل الانكسار والحزن لم يكن الا لشعوره بكونهِ وحيداً في العالم ليس لهُ من يسأل عنهُ فما كان ذلك الا ليزيد ولعي بهِ وانعطافي اليهِ . وانتهى الامر بان اتفقنا على المحبة والولاء ووعدتهُ بان اهبهُ حياتي ما دام لي في الوجود بقية . وفي ذات يوم كان حبيبي واسمهُ جورج يخاطبني من مركزه فمرَّ رئيسهُ ورآنا فظنني من بنات الهوى وحاول ان يتخذ الحرية معي في مكالمتي فلما اظهرت لهُ الجفاء عمد الى الايقاع بي وبحبيبي ولم يلبث ان تمكن من الحصول على امر بنفيهِ الى سيبيريا ظلماً وعدواناً وقد اتهمهُ انهُ يكيد لحياة القيصر . فقادوا ذلك المسكين الى منفاه وقد اسروا معهُ قلبي وعواطفي فبقيت اياماً لا اذوق القوت ولا عمل لي سوى البكاء والنحيب حتى بلغني انهُ وصل الى منفاه وكان ذلك بالقرب من بلدة اركوتسك في سيبيريا . فما علمت ذلك حتى طارت نفسي شعاعاً وصممت للحال ان الحق بهِ فاخفف عنهُ وأؤسيهِ ولا سيما وانا السبب

في ابعاده عن وطنهِ الى تلك الديار المقفرة وتحميله كل هذه المشقــة • واذ ذاك ارصدت المعدات اللازمة لي في هذا السفر الصعب واخذت مبلغاً من النقود يضمن لي السفر براحــة وابتعت الثياب اللازمة لمقاومة البرد والثلج وزايلت بطرسبرج متكلاً على الله ووجهتي اركوتسك فكنت كلما بلغت بلدة اسأل عن البلدة التي بعدها واستدل على طريقهــا واسير وانا لا انيس لي سوى الامل ولا رفيق سوى الفكر بقرب ملتقى الحبيب • وما زلت اتابع مسيري حتى بلغت هذا المكان وقد فرغ مني الزاد وتهت عن الطريق ولكنني خشيت ان يدركني الظلام فاجهدت قواي غير انهــا خارت بالرغم عني فسقطت الى الارض ولم اعد أعي شيئاً الى ان ادركتني ورددت اليَّ الحياة بفضل الله وعنايتك فلك الشكر

وكان القائد فورونوف يسمع حديث ماريا وهو يستغرب همتها وجرأتها ثم قال لها انني سأمر في طريقي على اركوتسك فلست بتاركك الى ان اوصلك الى حبيبك وعسى ان اراه كما يستحق ان يكون حبيب فتاة نظيرك • وبقيت ماريا في رفقة فورونوف ورجالهِ الى ان بلغوا مدينة اركوتسك فكان اول اهتمام القائد ان سأل عن محل وجود جورج واوصل ماريا اليهِ فكانت الساعة التي تقابل فيها الحبيبان من اشد ما اثر على فؤاد القائد • ولبث فورونوف ساعة مع جورج يحادثهُ فألفاه فتى حاد الذهن متوقد الخاطر فاعجبهُ الى الغاية ووعد ماريا بانهُ يسعى في اول فرصة ممكنة لخلاص حبيبها من ذلك الاسر واعادتهِ اليها ليعيشا معاً بالرغد والسرور ثم ودعهما وسار برجالهِ متتبعاً طريقهُ

وبعد ما قضى فورونوف مهمته عاد الى عاصمة الروس وقدم التقارير عما ارتآه في سياحتهِ فاستحسنت نظارة الحربية الخطة التي رسمها لها واعطتهُ الاوامر والنفقات اللازمة وفوضت اليهِ مد الخط الحديدي بحسب الرسم الذي رفعهُ اليها

ولما تعكرت كأس السلم بين الروسية واليابان في هذا العام ورأت دولة القيصر انهُ لا مندوحــة عن ارسال جنودها الى تلك الاصقاع باسرع ما يمكن الحت على فورونوف في انجاز الخط واضطره الالحاح ان يختصر ما امكن من المسافة التي كان

قد عينها في قراره الاول وان يمد الخطوط الحديدية فوق بحيرة بيكال بالنفس • ولما كان في حاجة الى العمال طلب الى القيصر ان يمده بالرجال فأمر بان يعفى عن المنفيين في سيبيريا وان يتخذوهم للمساعدة في الحرب • فلما بلغت فورونوف هذه الاوامر ذكر ماريا وحبيبها جورج وصمم على الاتيان بهما الى معسكره والانتفاع بمساعدة جورج خصوصاً

وانفذ القائد قصده فاتى بجورج وماريا الى حيث كان هو ورجالهُ فشعر الاثنان انهما قد بلغا اوج السعادة والسرور بخلاصهما من المنفى ومجيئهما الى ذلك المكان وشعورهما انهما يتنعمان بهوآء الحرية وفوّض القائد الى جورج قسماً من العمل فكان يدأب فيهِ بكل قوتهِ اكراماً للجنرال ومقابلةً لفضله عليهِ في تخليصهِ من النفي • وكانت الاوامر مشددةً بسرعة العمل فكان جورج لا يهدأ ليلاً ونهاراً الا اوقاتاً قصيرة للراحة يرى فيها حبيبتهُ ماريا تبذل وسعها في تخفيف همهِ وتعبهِ بكلماتها العذبة ومعاملتها اللطيفة كما كانت تفعل في اركوتسك • ورأى فورونوف تفاني جورج في العمل فوعده انهُ اذا انقضى ذلك العمل العظيم على ما يرام فانهُ يمنحهُ حريتهُ ليعود الى روسيا ويقترن بذلك الملك الطاهر فزاد هذا الوعد الامل في صدر جورج وحبيبتهِ وباتا يعللان النفس بالسعادة والهنآء • وكان العمل يتقدم بسرعة واشتد البرد فجمدت البحيرة على عمق بضعة امتار وكانت الخطوط تمد عليها كما تمد على اليبس وقد عين فورونوف يوماً لنجاز العمل بتمامهِ ووعد الحكومة انهُ يضمن نقل المؤن والذخائر والجنود في ذلك اليوم • وكان جلّ اعتماده في هذا الوعد على همتهِ التي لا تعرف الكلال وعلى ما رآه في رجالهِ من الحمية والنشاط

وفي ذات يوم عاد جورج الى قيلولتهِ حسب العادة فوجد ماريا حزينة النفس فقال ما لك ايتها الحبيبة فقالت اني قد رأيت هنا الضابط مكسيموف الذي كان السبب في نفيك وجر هذه الوبال علينا وقد ناجتني نفسي بقرب حدوث ما لا نحبهُ ولذا تراني كئيبة القلب حزينة النفس فاضرع اليهِ تعالى ان يقينا شر هذا الوحش الضاري • فتبسم جورج وقال خفي عنك ايتها العزيزة فانهُ لم يبق امامنا سوى

يومين لانهُ في اليوم الثالث يجب ان تمر الجنود على هذا الخط كما وعد صديقنا القائد . وقد علمت انهُ وعدنا بان تعطى لنا الحرية ونعود الى روسيا فكما قضينا تلك السنوات تقضي هذه الايام الثلاثة و بعدها الفرج باذن الله . قالت أسأل الله ان يقرب نهايتها على خير و يريح ضميري فانهُ منذ وقع نظري على هذا السرور لم ازل في خوف داخلي لا ادري لهُ سبباً . و بعد ان قضى جورج حصة مع حبيبتهِ عاد الى العمل وهو يود لو كان لهُ مئات من الايدي ليسرع في انجازه . و بينما كان في اليوم الثاني يعطي الاوامر للعملة الذين تحت عهدتهِ و يساعدهم في نقل القضبان الحديدية ووضعها في اماكنها شعر بيد قبضت على ذراعهِ . فنظر واذا بالضابط مكسيموف نفسهِ امامهُ فصعد الدم الى وجه جورج وخطر لهُ لاول وهلة ان يبطش بهِ ولكنهُ امسك غيظهُ وقال لهُ ماذا تريد يا هذا . فقال الضابط اراك قد عدت من منفاك ودلائل السرور على وجهك فلا تطمع في الخلاص فاني ساسعى في ارجاعك اليهِ متى انقضى عملك هنا . فقال جورج انني الآن والحمد لله تحت اوامر من هو اعظم منك وادرى بما انا عليهِ فلا تغيره وشاية واش ولا افساد مفسد فافعل ما بدا لك . فقال مكسيموف سترى ايها الجبان جزاءك على خطف تلك العاهرة من بين ذويها لتجعلها حظيةً لك وللقائد فورونوف الذي انما يعدك بالانعام اكراماً لها . وكانت هذه الكلمات كعقرب لدغت صدر جورج ولم يخف احتمالها فارتعش جسمهُ كأنهُ قد مسهُ مجرى كهربائي ولم يتمالك ان وثب وصفع الضابط بلطمة ألقتهُ على الارض . ولما نهض الضابط قال ليس هذا محل اقتصاصي منك ولا اكتفي بان اقابل صنيعك بمثله ولكن بيني و بينك المبارزة بالسلاح في هذه الليلة فاما ان تجهز عليَّ وتتمم ما ابتدأت بفعله او ان اقتص منك بما يستحقهُ الخائن الغادر نظيرك . فقال جورج انا وما تريد ايها اللئيم فاختر الساعة والسلاح كما تحب واعفني بما تقرره ولا تؤخرني الآن عن انجاز عملي

وكان جورج يضاعف همتهُ لانجاز الخط الذي وكل الى عهدتهِ ليصلهُ بالخط الآخر ولم يكن باقياً عليهِ منهُ الا القليل . غير انهُ عرض لهُ عائق لم يكن في حسبانهِ

فان الجليد في تلك البقعة كان غير مستكمل الجمود فكانت تتكسر منهُ القطع الكبيرة وتغوص تحتهم الى اعماق البحيرة . فشق هذا الامر الغير المنتظر على جورج وعمد الى ربط الخطوط باسلاك وثيقة من الجانبين تضمن متانتها غير انهُ وجد هذا العمل صعباً يستغرق من الوقت اكثر مما بقي لهُ فعزم ان لا ينام في تلك الليلة ويواصل العمل مع رجالهِ الى الصباح . ولما جاء موعد مقابلته لحبيبتهِ في المساء اسرع اليها فرأت اضطرابهُ واقلقتها حالتهُ فسألتهُ عما جرى فأخبرها بالواقع . ثم تأوَّه وقال انهُ لا بد لي من مقابلة مكسيموف للبراز لئلا يقال اني جبان استولى عليَّ الخوف من هذا الوغد ولكنني اعلم ان الدقائق التي ساتأخر فيها معهُ لا اتمكن من تعويضها فلا يتسنى لي اتمام الخط في الصباح فاخلف وعدي مع الجنرال واجعلهُ كاذباً لدى الحكومة ويتوقف سير الجنود ونخسر نحن السعادة التي وعدنا بها فورونوف فضلاً عن الاضرار التي تنجم من عدم اجتياز العساكر في الميعاد المحدد . فآه آه من لي بمن يطلع هذا اللئيم على كل ذلك ويسألهُ ان يمهلني الى الغد فقط . ثم رجع فقال ولكن لو سألتهُ ذلك لاعتقد اني خائف منهُ وما انا ممن يسمحون لمثل هذا اللئيم بان يظن بي مثل هذا الظن فكيف العمل

وكانت ماريا تسمع وتشاهد التأثر البادي على وجه حبيبها فقالت لهُ ومتى يكون موعد المبارزة وعلى اي سلاح اتفقتما . قال موعدها نصف الليل والملتقى في الجهة الشرقية من المعسكر ومسافة الطريق فقط تستغرق نحو نصف ساعة . اما المبارزة فستكون بالخناجر لاننا صممنا ان يموت احدنا لا محالة . فقالت خفف عنك يا جورج واذهب الى عملك مصحوباً بدعائي ولا تهتم بامر البراز فانني ساقصد مكسيموف بنفسي واسألهُ ان يؤخر ذلك الى الغد ولا اشك في انهُ يقبل سؤالي لاني اعتقد انهُ يميل اليَّ فلا يرفض طلبي . فقطب جورج حاجبيهِ وقال لا اني لا اريد ان يتوسل ملاك نظيرك الى شيطان نظيره . قالت لا طريقة لنا سوى هذه ايها الحبيب والانسان يضطر عند الحاجة الى فعل ما لا يرتضيهِ فبربك اسمح لي ان افعل فاذا اقنعتهُ بتأجيل المبارزة عدت اليك واعلمتك فلا تكون خسرت

شيئاً من الوقت واذا أصر رجعت واخبرتك ايضاً وتركنا التقادير تجري في مجراها. وأطالت ماريا في الالحاح على جورج حتى قبل اخيراً فقبلها شاكراً وعاد الى عملهِ مسرعاً

اما ماريا فدخلت الى خيمتها وخلعت ثيابها وارتدت ثوباً من ألبسة جورج ثم تقلدت في منطقتها خنجراً ماضياً وسارت في جنح الليل مهتدية بالنور المنبعث من بياض الثلج الى ان بلغت المحل الذي وصفهُ لها جورج . وما كادت تصل حتى رأت شبحاً يقترب من الجهة الاخرى فارتعش جسمها وتمتمت قائلةً اللهمَّ شجعني وشدد يدي . وكان القادم مكسيموف فاتى حتى حاذاها وهو يظنها جورج ثم ألقى بخنجره الى الارض امامها ففعلت هي نظيره ورجع الاثنان خطوتين الى الورآء . ثم قال مكسيموف ساصفق بيدي ثلاثاً فيسرع كل منا الى التقاط الخنجر الذي يتمكن من التقاطهِ ويغمده في صدر عدوه . فلم تجب ماريا بشيءٍ فكان سكوتها علامة القبول . ثم صفق مكسيموف كما قال وما كاد يتم الصفقة الثالثة حتى اسرع كل واحد منهما لالتقاط احد الخنجرين واندفع من صدر ماريا بالرغم عنها هذهِ الكلمات فقالت شدد يا رب ساعدي . وسمع مكسيموف صوتها فاجفل لتحققهِ ان ذلك غير صوت جورج وتوقف لحظةً كانت ماريا قد اسرعت في اثنائها فاغمدت الخنجر في صدر مكسيموف فدخل فيهِ الى المقبض . ولكنهُ كان قد ادرك حالتهُ وطعنها هو ايضاً فجآءت الضربة في ذراعها وجرحها جرحاً بليغاً . اما مكسيموف فسقط الى الارض وهو يجود بنفسهِ وقال آه يا غادر انك خشيت بأسي فاستأجرت من هو اقوى منك ليبارزني فليلحقك العار الى الابد وليرتسم على وجهك اللعين ختم الجبن والخيانة . فقالت ماريا ليس الخائن والجبان غيرك وقد انتصف الله منك ايها الظالم بما جلبتهُ على البريء جورج بيد حبيبتهِ وهي ليست الا فتاة . وعرف مكسيموف اذ ذاك قاتلته فانتفض وحاول ان ينهض فلم يقدر وكان الدم يتدفق بغزارة من صدره وفمهِ فقال ملعونة انتِ وملعون ... ولم يستطع اتمام كلامهِ فلفظ روحهُ ونهاية اللعنة على شفتيهِ

واخذت ماريا منديلاً من جيبها فطوقت بهِ ذراعها وعادت مسرعة الى حيث كان حبيبها فلم يعرفها حتى دنت منهُ وكان يعمل بمنتهى القوة البشرية فرأت انهُ يكاد يتم العمل ويفي بوعده • فقالت كن براحة ايها الحبيب فقد قبل مكسيموف ان يؤخر البراز فان يبارزك الليلة • فتنفس جورج الصعداء وقال بارك الله فيك ايها الملاك الطاهر وبشير الخير ولكن ما الذي دعاكِ الى ارتداء لباسي • قالت خشيت ان قدمت الى ما بين رجالك بلباس امرأة ان استوقفهم عن العمل فتزييت بزي الرجال لكي لا يهتم احد بامري ولعلي اتمكن من مساعدتكم

وكانت الايدي تجد في العمل حتى يخيل للناظر ان طائفة من الجن تشتغل في تلك البقعة لا شرذمة من الرجال • وما انبثق الفجر حتى رأى جورج ورجالهُ القائد فورونوف قادماً اليهم وكانوا قد اتموا تركيب آخر قطعة من الخط واكملوا عملهم فصاحوا جميعاً بفم واحد ليحي القيصر ليحي فورونوف ليحي روسيا • واثر المشهد في القائد فضم جورج الى صدره وقبلهُ وحاول ان يقول شيئاً فخنقتهُ عبرات السرور

ونظر جورج الى ما حولهُ فلم يجد ماريا فظنها قد عادت الى الخيمة ولكنهُ ما تم ان وقع نظره عليها ملقاة الى جانب مغشياً عليها فطار رشده واسرع لمعالجتها حتى افاقت وكان الدم النازف من جرحها وما قاستهُ من التعب قد اضعفاها • ورأى جورج الدم على ملابسها فتعجب وسألها عن ذلك فحاولت الانكار واخيراً اعلمتهُ بالواقع فكاد يفقد عقلهُ واطلع القائد على ما حصل فتأثر هذا ايضاً ثم امر طبيبهُ الخاص ان يعالج ماريا حتى شفيت فزودها وخطيبها الشكر والدعاء وكتب لجورج توصيات عديدة وامر لهما بالرجوع الى روسيا ليقترنا ويعيشا سعيدين • ودفع القائد الى ماريا مبلغاً من المال وقال هذا ما يمكنني تقديمهُ لك ليكون هدية اكليلك فقالت اقبلهُ منك بالشكر وارجعهُ اليك تقدمةً مني لمساعدة الجنود الذين يخوضون غمار الموت في هذه الحرب • فزاد سرور القائد منها وودعهما كما يودع الاب بنيهِ فانطلقا راجعين الى الوطن وهما يودعان الشقاء ويستبشران بالسعادة والرخاء